المبحث الأول

تاريخ تدوين الأناجيل

لم يُكتب الإنجيل في حياة المسيح، بل كان يُنقل شفاهية، واستمر الأمر كذلك بعد رفعه خمساً وثلاثين سنة (عند أكثر المحقِّقين).

قال محمد فتحي عثمان: (وعند اضطهاد (نيرون) للمسيحيين رأى شيوخ الكنيسة وكبارها في خريف عام ٦٤ م أن يجتمعوا، وكلَّفوا في اجتماعهم (مرقس) زميل (بطرس) أن يدوِّن ما يستطيع أن يتذكَّر من أحاديث المسيح وتعاليمه، فكتب (مرقس) بشارته، وحذا غيره حذوه، وتعدَّدت البشائر..)[1].

ولقد شاع بين المحقِّقين أنّ هناك شكّاً في نسبة كلِّ إنجيل من الأناجيل الأربعة المعترف بها بين النصارى بعد مؤتمر (**نيقية الإيطالية**) إلى صاحبه، وأنه لا يمكن إثبات سندٍ متصلٍ عند النصارى للديانة المسيحية. يقول صاحب كتاب (المسيحية

(١) راجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة، ط٢، الدار القومية للطباعة والنشر، ص:١١٢.

نشـــأتها وتطورها)[1]: (وإنَّ أوَّل الصِّعاب التي تعترض الديانة المســـيحية نجدها في النصوص نفســـها التي تمتاز عن سائر النصـــوص الأخـــرى بضعف الســـند وبالاضطراب وعســـر التحقيق، وأقدم هذه النصـــوص، وأهمُّها (**العهد الجديد**). وأن الأصول التي كتبت عنهـــا الأناجيل مفقودة، ومختلف في لغة كتابتها، وليس بين أيدهم سوى النُّسخ المترجمة عن الآرامية. ومعروف أن هناك أناجيل كثيرة اعتبرها المؤرخون في (نيقية) أناجيل منحولة من دون إبداء الأسباب، واتفقوا على الاعتراف والإقرار بالأناجيل الأربعة المعروفة اليوم، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

ومن الأناجيل المنحولة في زعمهم:

إنجيـــل برنابا، وإنجيـــل العبرانيين، وإنجيـــل المصريين، وإنجيل الطُّفولة، وإنجيل التَّذكرة، وغيرها كثير.

وقبل البدء في تتبُّع ما جاء عن المســـيح عليه السلام في الأناجيل الأربعة الرَّسمية حَسن الحديث عن كلِّ إنجيل على حدة، وعن مؤلِّفه، حديثاً موجزاً:

---

(١) شارل جنيبير (أستاذ المسيحية ورئيس قسم الأديان في جامعة باريس) والكتاب ترجمه الى العربية الدكتور عبدالحليم محمود، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ص١٧

أول هـذه الأناجيـل إنجيل (متـى) الّذي يتكوّن مـن ثمانية وعشـرين فصلاً كل فصل يتكوّن مـن مجموعة من الفقرات، و(متّى) من تلاميذ المسـيح عليه السلام الاثني عشر (الحواريون) كما جاء في (إنجيل متى) الفصل التاسـع: (وفيما يسوع يجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية، واسمه (متى) فقال له: اتَّبعني، فقام وتبعه).

و(متى) اليهودي الأصل كان عَمله قبل الاتّصال بالمسـيح عليه السلام جابياً للضَّرائب في خدمة الإمبراطورية الرُّومانية بفلسـطين، وعمله هذا يمقته اليهود، ويعتبرون صاحبه ظالماً عنيف الطِّباع (ولعلَّ وظيفته جعلت له وضعاً خاصّاً في جمعه من أقوال المسيح في إنجيله)[1].

كتـب (متى) إنجيله بعد رفع عيسـى عليه السلام بأكثر من ثلاثين عامـاً باللُّغة الآرامية، ووجَّهه إلى اليهود في أرض فلسـطين. وأصل إنجيـل (متى) مفقود، ولا يوجد الآن سـوى التَّرجمة اليونانية. وقد وقع اختلافٌ شـديدٌ حول تاريـخ تدوينه ولغة تدوينه، وحول الَّذي قام بترجمته[2].

(١) راجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة لفتحي عثمان، ص:١١٠.

(٢) راجع كتاب: أضواء على المسيحية لمتولي يوسف شلبي مبعوث الأزهر في إندونيسيا ط٢، الدّار الكويتية، وراجع كتاب: إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي تحقيق عمر الدسوقي، توزيع مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء. ج١ ص٧٦.

ثانياً: إنجيل (مرقس) واسمه يوحنا، كان تلميذاً للقدِّيس بطرس. (وكان بطرس يجهل اليونانية، ولا يعرف سوى الآرامية، فلمَّا ذهب إلى روما استدعى (يوحنا) الَّذي كان يدعى (مرقس) ليترجم بينه وبين سكان روما.

وكان (مرقس) من يهود قبرص يتكلَّم اليونانية ويقرأ ويكتب. فالتحق بـ (برنابا) و (بولس) وبعد وفاة الأوَّل انتقل إلى روما، ودوَّن سيرة المسيح بطلب من أهل روما بين عامي ٥٥م، ٦٠م كما سمعها من فم (بطرس) دون تسلسل، بل وفقاً لاحتياجات القول ودواعيه[١].

هذا، وإنَّ خلافاً وقع بين المؤرِّخين حول الكاتب الحقيقي للإنجيل: (فابن البطريق وهو من المؤرِّخين الشَّرقيين يقرِّر أنَّ الَّذي كتبه هو (بطرس) عن (مرقس). (وأورينوس) يقرر أن الذي كتبه هو (مرقس) من غير تدبير (بطرس)؛ لأنه كتبه بعد موته)[٢].

وكذلك هناك خلافٌ حول تاريخ كتابته، ويتكوَّن من ستَّة عشر فصلاً.

---

(١) راجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة فتحي عثمان، ص١١٣.
(٢) راجع كتاب: محاضرات في النَّصرانية لمحمد أبو زهرة، ط٣، سنة ١٣٨٥هـ، ص: ٥٠، مطبعة المدني.

وثالثهـا: إنجيل (لوقـا) الطَّبيب تلميـذ (بولس) وصاحبه وبرأيه ألَّف إنجيله - ومن هنا جاء القول: إن إنجيل (لوقا) هو إنجيل (بولس) - ويرى رجـال الاختصاص علاقة وثيقة بين هذا الإنجيل وبين سفر أعمال الرُّسل من حيث جوهر الرِّسالة واللُّغة والأسلوب، فينسبون الأخير إلى (لوقا) أيضاً.

وهكذا لم ينقـل إنجيلي (مرقس) و(لوقا) عن المسـيح مباشـرة، بل الأوَّل نقل عن (بطرس) والآخر عن (بولس)[1]، ويتكوَّن من أربعة وعشرين فصلاً.

ورابعها: إنجيل (يوحنا) الحبيب الَّذي كان يحبُّه المسيح عليه السلام كما يعتقد النَّصارى، (وإنجيل يوحنا هو الإنجيل الَّذي تضمنَّت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح)[2].

ونجد أنَّ هناك من يشـكُّ في إنجيل (يوحنـا) ابن زَبدى التِّلميذ ونسبته إليه، نقل أبو زهرة في محاضراته عن النَّصرانية عن دائـرة المعارف البريطانية ما يلي: (أمَّـا إنجيل يوحنا فإنَّه لا مرية، ولا شـكَّ كتابٌ مـزوَّر، أراد صاحبه مضادة اثنين من

(١) راجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة لفتحي عثمان، ص: ١١٣.
(٢) راجع كتاب: محاضرات في التصرانية محمد أبو زهرة، ص: ٥٣.

الحواريين بعضهما لبعضٍ، وهما القديسان (يوحنا) و(متى)، وقد ادَّعى هذا الكاتب المزوِّر في متن الكتاب أنّه هو الحواري الَّذي يحبُّه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصّاً مع أنّ صاحبه غير يوحنا يقيناً...)[1].

فالشَّك قائمٌ في نسبه هذا الإنجيل إلى التِّلميذ (يوحنا) كما هو الحال في سائر الأناجيل الرَّسمية المعتمدة لدى النَّصارى اليوم. وأستطيع القول: إنَّ كلَّ صلةٍ تربط المسيحي بالمسيح عليه السلام مشكوك في صحَّتها، وهي عرضة للبحث والدِّراسة والتَّمحيص؛ وذلك نتيجة فقدان السَّند المتَّصل بين المسيح عليه السلام وإنجيله الحقيقي من جهة وبين النَّصارى والمسيح نفسه من جهة أخرى.

ولقد كان لليهود دورٌ خطيرٌ في تشويه وطمس معالم إنجيل أو كتاب المسيح الَّذي جاء به من ربِّه المُرْتَكِز على التَّوحيد الصَّادق والدَّعوة إلى عبادة الرَّب الواحد لا إله إلا هو.

ومن أخطر أولئك اليهود الَّذين اعتنقوا الدِّين المسيحي لإفساده هو **بولس اليهودي** المتعصِّب ليهوديته، الَّذي لاقى

(١) المصدر نفسه، ص: ٥٤.

كثيرٌ من النَّصارى على يديــه قبل تنصُّره صنوفاً من الاضطهاد والعذاب، لا لشيءٍ إلا لكونهم يدينون بالنَّصرانية.

يقول (بولس) نفســه عن نفســه: (أنا رجلٌ يهوديٌّ ولدتُ في طرسوس كيليكية، لكنِّي ربيت في هذه المدينة -أورشيم- وتأدَّبت لدى قدمــي جمليئيل[1] على حقيقة النَّاموس الأبوي، وكنت غيورًا لله كما أنتم جميعكــم اليوم، وقد اِضْطَهَدْتُ في هذه الطَّريقة حتَّى بالموت، مقيِّدًا، ومسلِّماً إلى السِّجن رجالاً ونســاءً، كما يشــهد لي رئيس الكهنة وجميع الشُّــيوخ الَّذين أخذت منهم رســائل إلى الإخوة، وانطلقت إلى دمشــق لآتي بمن هناك إلى أورشليم موثَّقين ليعاقبوا.فأتَّفق وأنا سائر، وقد دنوت من دمشــق عند الظُّهر أن أبرق حولي من الســماء بغتةً نورٌ عظيمٌ، فســقطت على الأرض، وسمعت صوتاً يقول لي: شــاول، شاول، لم تضطهدني؟ فأجبت: من أنت يا ربُّ؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده.

(١) عالمٌ يهوديٌّ تولَّى رئاسة السَّنهدرين، فسَّر الكتاب المقدس ومدرسته من ألمع المدارس اليهودية في ذلك العصر.

والَّذين كانوا معي رأوا النُّور، ولكن لم يسمعوا صوت الَّذي كلمني. فقلت: ماذا أصنع يا ربُّ؟ فقال لي الرَّب: قم امضِ إلى دمشق، وهناك تُخْبَر بجميع ما رسم عليك أن تعمله[1].

وفي دمشق بدأ يبشر بين اليهود، فقاوموه، فخرج إلى بادية الشـــام، ومكث هناك ثلاث سنواتٍ سافر بعدها إلى أورشليم، فوجد مقاومة أيضًا، فرحل إلى أنطاكية.

هلك (بولس) مع (بطرس) ســـنة ٦٤م علـــى يد (نيرون) (كان أبوه من الفريســـين، ونشـــأ ابنه على مبادئ هذه الشِّـــيعة الدِّينية المتحمّسة، وظلَّ رســـول الأمم طوال حياته يعدّ نفسه فَرِيسيًّا حتى بعد أن نبذ الشـــريعة اليهودية... ولم يتعلَّم تعليماً راقياً، ولم يدرس الكتب اليونانية... وقد بقي (بولس) إلى آخر أيامه يهوديّاً في عقله وخُلُقه... وكان فيه من الإحساس القوي والخيال أكثر مما فيه من نزاهة الحكم والنظرة الموضوعية إلى الأشياء، وكان قويّاً في العمل؛ لأنه كان ضيق التفكير)[2].

---

(١) راجع أعمال الرسل: ٢٢/ ٤-١١.

(٢) راجـــع كتاب: قصة الحضـــارة تأليف ول ديورانـــت ج٣ المجلد ٣ رقـــم ١١ (قيصر والمسيح) ترجمة محمد بدران ط٣ ص: ٢٤٩.

والذي مازال مجهولاً عن (بولس) هو من أين تلقَّى أصول ومبادئ الدِّين المسيحي الذي شرع منذ أن دخل دمشق يبشر به، ويدعو إليه، وهو اليهوديُّ المتعصب ليهوديته؟! عاش فترة من عمره طويلة يحمل لغير الديانة اليهودية - خاصة الديانة النصرانية - كرهاً وحقداً شديدين، وكان أبعد ما يكون عن دراسة أصول الدين المسيحي في تلك الفترة من حياته قبل أن يعتنق الدين المسيحي؟؟

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (ولكن (بولس) أبو العجب إستطاع أن يتغلّب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده، وأن يحملهم على نسيان العقل، عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه)[1]. وكان المسيح في تصوُّر (بولس) (إنساناً سماويّاً سبقت عناصره الروحية في الوجود، وجوده الجسدي، وكانت من قَبْل في السماء، فعيسى هو الروح جاء إلى الأرض لينشِئ إنسانية جديدة يحررها من أثقال الخطايا بقبوله أن يعيش عيشة الإنسان المحقَّر، وأن يموت ميتة الآثم المشينة)[2].

(١) راجع كتاب: محاضرات في النصرانية، ص: ٨١.
(٢) راجع كتاب: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير، ص: ١٤٩.